أديان العرب قبل الإسلام

بقلم

الدكتور

نجاح عبد الله البياع

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

قبل مبعث الرسول ﷺ كانت الحياة جحيما لا يطاق .. القوى يأكل الضعيف ... والغنى يسطو على الفقير .. وباتت شريعة الغاب تتحكم فى مصائر الناس، وقد بلغ الفساد حدا .. لا نجد أبلغ من تصوير القرآن الكريم له ، فى مثل قوله تعالى:

﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾(١)

ومن مظاهر هذا الفساد ما أشارت إليه آية القرآن الكريم من مظاهر تخص منها مشكلات الوقت الحاضر من حيث صلتها بالحياة وهى أغلى ما يملك الإنسان قال تعالى:-

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ (٢)

وكان مصدر هذا الفساد كله هو عدم الإيمان بالآخرة وما يترتب عليه من خراب نفسى وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حيث يقول:

﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾(٣)

وفى هذا الظلام الدامس كان هناك شعاع من النور ينبثق من مجموعة الحنفاء الذين كان من تدبير الله تعالى أن يجعل منهم حجة بالغة على عمق فطرة التدين فى النفس الإنسانية فى نفس الوقت الذى يؤكدون فيه أن البيئة لا تنفرد بتشكيل الإنسان وإنما إرادة الإنسان المشمولة برعاية الله سبحانه وتعالى ..

وقد كان وجود هؤلاء الحنفاء براعة الإستهلال التى تسبق رسالة الإصلاح ومن المفيد أن

---

(١) سورة الروم الآية ٤١ .

(٢) سورة النحل الآية ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) سورة الجاثية ٢٤ .

نعزز هذا المعنى بما قاله العقاد رحمه الله تعالى.

{ لقد كان العالم خلاصة ما يقال فيه أنه عالم فقد العقيدة كما فقد النظام أى أنه فقد أسباب الطمأنينة فى الباطن والظاهر. . . حقا إنه عالم يتطلع إلى حال غير حاله . . عالم يتهيأ للتبديل . أو للهدم ثم البناء . . إن أمة العرب قد تيقظت لوجودها وشعرت بمكانها كما شعرت بالخطر عليها وبمواضع النقص منها، فى أيديها تجارة العالمين كلها ثم رأت هؤلاء المحيطين بها يجورون عليها ويريدون إخضاعها وابتلاعها . . خطر من خارجها . . يزيد الأمة يقظة وانتباها لوجودها وخطر من داخلها يدفع بها دفعا إلى الزوال أو إلى استكمال النقص المستشرى فى حياتها حالة لا استقرار فيها . . ولا تزال فى طلب الإستقرار }(1)

فكان لا بد من مجىء الإسلام لتصحيح المفاهيم وإنقاذ العالم من هذه الظلمات على يد منقذ الإنسانية سيدنا محمد ﷺ والذى وافى فى وقت تعطشت الدنيا كلها للإسلام ورسوله ﷺ الذى حمل راية الدعوة وقام بإبلاغها بكل الأساليب والوسائل ليلا ونهارا . .

- وهكذا واجه الرسول ﷺ عالما يموج بالمعتقدات المختلفة والآراء الهدامة . . والعقائد الباطلة . . يتمثلها عبدة الأوثان والأصنام كما واجه أهل الكتاب . . اليهود . . والنصارى.

- ومن ينكرون البعث وإرسال الرسل ، والذين عبدوا الجن من دون الله بل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً . .

وإذا كان الأمر كذلك ووصل الأمر إلى هذا الحد من الفساد فكان لا بد من أن يتحمل الداعية الأول مسئولية الدعوة وكان ﷺ أحق بها وأهلها .

وسوف نتبين أثناء بحثنا أمورا منها :-

١- ضرورة الصدام منذ اللحظة الأولى بين الحق والباطل، بل وشدة هذا الصدام من حيث كانت حياة أحدهما موتا للآخرة .

٢- حكمة الداعية التى نجحت فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور مع تعدد هذه

---

(1) عبقرية محمد - عباس العقاد ص ١٩ بتصرف .

الظلمات والتى كانت كأنها الليل البارد الطويل . .

٣- ولنخرج من ذلك كله بما أكدناه آنفا من أن البيئة أضعف من أن تصوغ الرجال وإنما الداعية الحكيم بمبادئه الحكيمة .

أهمية دراسة البيئة العربية :

إن دراسة الجو الذى نشأ فيه الرسول ﷺ والبيئة التى عايشها . . والديانات التى كانت سائدة فى هذه البيئة ترينا كيف جاهد الرسول ﷺ فى تبليغ دعوته الصحيحه بعد أن بلغه الله عز وجل بها . . وكيف انتصر فى النهاية رغم هذه العقبات فما جاء به الرسول ﷺ إلى الناس آنذاك ليس أمرا طبعياً يخضع لتأثيرات البيئة التى يعيشونها والجو الذى يحيونه ومن ثم كان الصدام . . وكانت المواجهة . . فى سبيل تبليغ دعوته ﷺ .

- إن الرسالة الإسلامية شأنها عظيم والعظائم كفؤها العظماء ومن هنا أعد الله سيدنا محمد ﷺ ليتلقى آيات الوحى كى ينقذ الإنسانية من الظلمات إلى النور، فهذه هى وظيفة الرسول ﷺ إذ يقول: « ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »[1]

وهدفى من هذا البحث هو :-

١- معايشة هذه الفترة الزمنية عن طريق ما تسفر عنه الوقائع التاريخية وتحليلها . .

٢-وهذا مما يعين الداعية إلى الله عز وجل على الفهم الصحيح للبيئة الأولى للإسلام.

٣- بيان ما كانت عليه الجزيرة العربية قبل مبعث النبى ﷺ لأنه من المعلوم أن من خصائص الداعية إلى الله تعالى دراسة الديانات والملل والنحل القديمة والحديثة كى يدع إلى الله على بصيرة . . فالدعوة تهتم بالمخاطبين ومعرفة أنفسهم . .وأحوالهم . .

---

(١) أخرجه البخارى فى فضائل القرآن باب كيف كان نزول الوحى فتح البارى لابن حجر جـ ١ صـ٣ .

البيئة التى اختارها الله عز وجل لانطلاق الدعوة

بسط الله عز وجل الأرض للأنام.. وجعل وسطها جزيرة العرب ، فهى قلب الكرة الأرضية [يحدها من الشمال الشرقى خليج فارس من شواطىء عمان إلى مصب نهر الفرات والدجلة إلى أعلى سورية ومن الشمال الغربى نهر الفرات وفلسطين وخليج العقبة، ومن الجنوب الشرقى طول البحر الأحمر إلى باب المندب، ومن الجنوب الغربى بحر العرب على شواطىء اليمن وحضر موت إلى شواطىء عمان] (١)

وقد أثبت مهندس مسلم عالم بأن الكعبة المشرفة سرة الأرض تدبيرا من الله تعالى.. لتكون الأمة الوسط والتى تخرج بالهدى على الناس من النقطة الوسط، وما زال هذا المعنى تؤكده الأبحاث العلمية [فشبه جزيرة العرب مستطيل غير متوازى الأضلاع شماله فلسطين وبادية الشام، وشرقه الحيرة ودجلة والفرات وخليج فارس، وجنوب المحيط الهندى وخليج عدن، وغربه بحر القلزم « البحر الأحمر» فهو إذا حصين بالبحر من غربه وجنوبه، حصين بالصحراء من شماله وخليج فارس من شرقه] (٢) فضلا عن الجبال الذى جعلها الله أوتادا وهكذا كان من تدبير الله تعالى أن يهبط الوحى فى مركز الدائرة لتكون الأمة الإسلامية بمبادئها بعيدة عن الأطراف ..عن التآكل من حيث كانت هى الوسط المحمى بهذا التمركز دون غيرها من أمم كانت هناك على الحروف فترنحت ثم بادت وتغيب الأمة الإسلامية فى هذا المكان الذى اختاره الله عز وجل ليشرف بنزول الوحى وتحرك النبى ﷺ على أرضه الطيبة المباركة .. يدعو إلى الله عز وجل من هذا المكان [مكة المكرمة] قلب العالم أجمع.. ومركز الدائرة للكرة الارضية [وبهذه الخاصية استفادت الدعوة الإسلامية حيث اقتربت من كل الأمم بقدر ما أمكن وانطلقت إليهم جميعا على مستوى واحد من الجهد، يوضح هذا ما تعلمه من أن النبى ﷺ أرسل كتبه بعد الحديبية إلى كل جبار فى العالم، فى وقت واحد تقريبا لأن توسط المكان ساعد على ذلك] (٣)

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين حـ ٦ صـ ٨٨ ط ٣ سنة ١٩٧١ بيروت .

(٢) حياة محمود صـ ٨٨ دار المعارف محمد حسين هيكل ط ١٧ .

(٣) الدعوة فى عصر النبوة د/ أحمد غلوش صـ ٣٧ سنة ١٩٧٢م طبعة المدنى .

وربما كان في قول الله تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[1] .

إشارة إلى هذا المعنى :

[حيث إن وسيطة الأمة في الخير يشبه وسطية فيافي مكة بين المشرق والمغرب][2]

ومن ثم اختار الله عز وجل

[أم القرى والجزيرة العربية لموقعها الجغرافي واستقلالها السياسي خير مركز لرسالته، وكانت الأمة العربية، بخصائصها النفسية ومزاياها الأدبية خير محل لدعوته، وخير داعية لرسالته][3] .

واقع البيئة العربية :

لكن هذه البيئة العربية كانت تعج بمختلف الآراء والعقائد الدينية، مما يدل على أن الحالة الدينية في هذه البلاد كانت متعددة النواحي ومختلفة المذاهب [ولكنهم كانوا جميعا يجمعون على شيء واحد هو تقديس الكعبة واحترام مشاعرها][4]

لأن الله عز وجل جعل لها حرما مقدسا .. من دخله كان آمنا .. إنه البيت الحرام .. مكة المكرمة .. البيت العتيق .. أم القرى .. المكان الذي اختاره الله عز وجل ليكون مستقر دعوته ..

[لقد كانت مكة لا تدين لدين الملوك ولم يؤد أهلها إتاوة ولاملكها ملك قط من سائر البلدان، تحج إليها ملوك حمير وكنده وغسان ولخم ويدينون للحمى من قريش ويرون تعظيمهم والإقتداء بآثارهم مفروضا وشرفا عندهم عظيما ..

---

(١) سورة البقرة ١٤٣ .

(٢) تفسير النسفي جـ ١ صـ ٧٩ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ ٧٢ ط ٧ دار المعارف للندوى .

(٤) تاريخ العرب محمد أسعد جـ ١ صـ ٧٤ دار الأندلس .

وكان أهل مكة آمنين يغزون ولا يغزون ويسبون ولا يسبون ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهرا ولا يحال عليها السهام [(١)

ويلاحظ أن العلامة الحموى ذكر أن أهل البيت غزوا فكيف كان الغزو وكانوا مقهورين للملوك حولهم ؟؟

ولعل المراد بالغزو هنا ليس غزوا للأمم الاخرى، ولكن كانت بعض القبائل تغار على البعض الآخر خارج مكة وكان العرب يعتبرون أهل مكة حماة بيته المحرم فكان لهم تعظيما فى قلوب العرب فلا يهاجمون قوافلهم الذاهبة للتجارة باليمن أو بالشام .

وأيضاً :

كانت الشعوب حولهم يتحرجون ويمتنعون من حرب أهل مكة فلا يغزونهم وما حدث من حادث الفيل رد الله عليهم بالطير الأبابيل فكان هذا دافعا لأهل مكة بأن يعتقدوا أن الله عز وجل يدافع عن بيته المحرم .

فى هذا المكان الآمن المحروس بعناية الله عز وجل نبتت الدعوة الإسلامية ... وانتشرت فى مكة وما حولها حتى استوت على سوقها [وقد حفظ العرب لمكة هذا إيمانا منهم بأن دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام قد استجيبت فجعلها الله بلدا آمنا آمن فيه الخائف ورزق أهله الثمرات تحمل إليهم من كل الآفاق، ولما هلك جيش أبرهة قالوا لا عجب فهم أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم [(٢) ولا حرج على فضل الله تعالى فهو سبحانه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء .. ولا يسأل عما يفعل .. وها هو البيت العتيق .. البلد الأمين .. أم القرى .. مكة المكرمة التى يدخلها الخائف كى يأمن فيها من كل سوء ..

وصدق الله عز وجل إذ يقول فى سورة قريش ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت** ﴾ .

﴿ **الذى أطعمهم من جوع** ﴾ . ﴿ **وآمنهم من خوف** ﴾ .

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموى جـ ٥ صـ ١٨٣ .

(٢) أخبار مكة للأزرقى جـ ١ صـ ١١٣ .

السكان الأصليون لمكة المكرمة وعقائدهم

إن المتتبع للتاريخ ليدرك على الفور أن مكة من أقدم بلاد العرب، { سكنتها العمالقة ثم خلفتهم قبيلة جرهم عليها وفى عهدها قصدها سيدنا إبراهيم عليه السلام وبنى الكعبة وصاهر ابنه إسماعيل عليه السلام بنى جرهم وسكن الحجاز واستمر أولاده فيها من بعده }(١) وكانت سدانة البيت لآل مضاض ابن عمرو الجرهمى خال ولد إسماعيل عليه السلام إلى أن بغوا واستحلوا أموال الكعبة فغلبتهم خزاعة عليها وهى قبيلة يمنية قدمت الحجاز إثر سيل العرم }(٢)

{ وكان أبو خزاعة قد قاتل جرهما بنى إسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة وتولى أمرهم بعدهم }(٣).

وليس هذا بغريب .. فلقد كانت العلاقة بين القبائل علاقة عداوة وخصام وحرب وقتال بسبب الحصول على لقمة العيش ومن ثم { بدأ الصراع المادى يسيطر على أفكارهم وتصرفاتهم، ويبدأ الهوى يحكم تفسيرهم للدين فاستباحوا محاربة بعضهم لبعض بعد استباحتهم العداوة بعضهم لبعض وكل فريق يحاول أن يدعى لنفسه الحق دون الآخر .. فأخرج بعضهم وتوزع الخارجون فى البلاد }(٤).

بعد هذا العرض الموجز يتبين إلى أى حد كانت الجزيرة العربية فى حاجة ماسة إلى منقذ من الضلال .. وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾(٥).

أرسل الله عز وجل رسوله ﷺ من جنس العرب ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله

---

(١) انظر فى ذلك أ - أخبار مكة للأزرقى جـ١ صـ ٣٦ .

(٢) أ المقدمة لابن خلدون جـ٢ صـ ٣٢٢ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى جـ ٢ صـ ٢٤٧ .

(٤) الإنسان فى ظل الأديان لأستاذنا الدكتور عمارة نجيب صـ ٢٢٣ .

(٥) سورة آل عمران ١٦٤ .

ومجالسته والإنتفاع به يتلو عليهم آياته يعنى القرآن ويزكيهم أى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذى كانوا متلبسين به فى حال شركهم وجاهليتهم ويعلمهم القرآن والسنة وإن كانوا من قبل لفى غى وجهل ظاهر جلى بين لكل أحد } (١).

ولاحظ فى الآية الكريمة كيف شخصت أبعاد هذا الضلال عمقا واتساعا وقد كان العرب .

{ فى } من الضلال فى قعره كما يفيد معنى حرف الجر ثم إنه { ضلال } منكر واسع شامل للأرض كلها وهو من الوضوح بحيث لا يختلف فيه اثنان ثم هو فى نفس اللحظة يؤكد عمق النعمة وشمولها هذه النعمة هى نعمة الإخراج من هذا العمى وكان الظن للوهلة الأولى أن يظل سر مديا ..



(١) بتصرف انظر تفسير بن كثير جـ ١ صـ ٤٢٤ .

سكان الحجاز

الحجاز كلمة أطلقت على الحرمين الشريفين [مكة المكرمة والمدينة المنوره] وقد سمى حجازا لأنه يحجز بين تهامة ونجد والعرب هم [سكان الحجاز الأصليون وهم منتشرون فى جميع مدن الحجاز قراه وبواديه ومن أشهر القبائل الساكنة فيه بطون قريش وسليم ومزينة وهوازن وثقيف وخثعم وطى وأشجع وغفار وفزارة وغطفان والأوس والخزرج] (١).

اليهود فى الجزيرة العربية :

استقر من اليهود فى يثرب ثلاث أسر كبيرة هى بنو قينقاع - وبنو النضير وبنو قريظة وبذلك [كانت لليهود مستوطنات قديمة فى شمال الجزيرة فى يثرب وخيبر وتبوك وتيماء ووادى القرى وفى جنوبها فى اليمن وما جاورها] (٢) ولقد تجمع اليهود فى يثرب [لأنها كانت أهم هذه البلاد لوقوعها على الطريق التجارى الذى يمر بالحجاز] (٣).

ونلاحظ أن الحجاز تسع لكثير من الملل والمذاهب التى جعلت منه أنسب البيآت لإرسال رسول منقذ يواجه كل هذه الملل والنحل .. مواجهة ينكشف بها زيفها ثم يستقر الأمر فى النهاية على الإسلام لأن الدين عند الله الإسلام .



(١) تاريخ العرب محمد أسعد طالس جـ ١ صـ ٧٢ دار الأندلس .

(٢) المفصل فى تاريخ العرب جـ ٦ صـ ٤١٨ بتصرف د/ جواد على .

(٣) المرجع السابق والصفحة - طبعة المجمع العراقى .

عقائد العرب قبل الإسلام

القرآن الكريم هو أقدم وأوثق مصدر يمكن أن نستقى منه عقائد العرب قبل الإسلام . . يقول تعالى . .

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ﴾ (١) .

بالتأمل فى هذه الآية ندرك هذه الأديان المختلفة على النحو التالى :-

١- المؤمنون وهم الذين آمنوا على وجه العموم [لان من أحسن من الامم السالفة وأطاع فإن له جزاء الحسنى وكذلك الأمر إلى قيام الساعة] (٢) .

وسواء فى ذلك من آمن من بمحمد ﷺ بعد مبعثه أو من آمن به قبل بعثته أمثال قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل فمنهم من أدرك النبى وتابعه ومنهم من لم يدركه . . . فهؤلاء جميعا من أمة محمد ﷺ وهم الذين عناهم الله فيمن عناهم إلى يوم القيامة فى قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا ﴾(٣) .

٢- الذين هادوا أى صاروا يهودا وهم اليهود [المنتسبون إلى ملة موسى عليه السلام](٤) .

وهاد وتهود أى دخل فى اليهودية . .

٣- الفرقة الثالثة فرقة الصائبين أى الخارجين من دين إلى دين وهم [قوم يعبدون النجوم وقيل هم من جنس النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبين إلى الأنبياء](٥) .

والمراد بهم الخارجون من الدين الحق إلى الدين الباطل .

---

(١) سورة الحج ١٧ .

(٢) تفسير بن كثير جـ ١ صـ ١٠٣ .

(٣) تيسير العلى القدير لاختصار تفسير بن كثير جـ ١ صـ ٦٢ محمد نسيب الرفاعى .

(٤) تفسير القرطبى جـ ١ صـ ٥٥٤ .

(٥) فتح القدير للشوكانى جـ ٣ صـ ٤٤٣ .

٤- النصارى وهم المنتسبون إلى عيسى عليه السلام سموا بذلك لأنهم كانوا أنصارا له عليه السلام أو إنهم سموا بذلك نسبة إلى القرية التى نزلها عيسى عليه السلام وهى الناصرة.

٥- المجوس { هم الذين يعبدون النار ويقولون إن للعالم أصلين النور والظلمة }[١].

٦- الذين أشركوا وهم الذين عبدوا مع الله إلهاً آخر .

وما أجمل الترتيب فى الآية الكريمة حيث قدم سبحانه وتعالى الذين آمنوا على من سواهم لأنهم أصحاب الإيمان الصحيح ثم إنه سبحانه وتعالى شهيد علي أهل كل دين خبير بما يعملون وسوف { يحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم }[٢] .

وحينما نتأمل حرف العطف فى الآية { الواو } نجد انه يقتضى المغايرة وهذا يثبت أن هذه الديانات والعقائد يختلف كل منها عن الآخر شكلا وموضعا . .

فاليهود والنصرانيه ديانتان محرفتان والصائبة دين من قبيل المجاز . . والمشركون لا دين لهم . . والمجوس قولهم مضطرب وعلى ذلك لا يكون فى الآية دين صحيح سوى الإسلام الذى أشارت إليه الآية الكريمة بقوله تبارك وتعالى « إن الذين آمنوا » .

أى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبينا ورسولا صلى الله عليه وسلم .



---

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٢١٠ .

التوحيد فى مواجهة العقائد الأخرى

رغم تعدد المعتقدات عند العرب قبل ظهور الرسول ﷺ إلا أنه وجد فيهم من يعبد الله ويوحده . . . ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾(١) .

يقول العلامة ابن كثير أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم تفاوت بينهم فمنهم الغنى والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ؟؟ ولم يتوكل على غيره؟؟

فكما أنه الواحد فى ملكه فليكن الواحد فى عبادته وكثيرا ما يقرر سبحانه وتعالى مقام الإلهيه بالإعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هولك تملكه وما ملك](٢) ويؤكد ذلك الإمام الشاطبى حيث يقول :

[جرى العرب على معتادهم فى اتخاذ الآلهة فى الأرض وإن كانوا مقرين بإلهية الواحد الحق](٣) .

وكما زين لهم الشيطان سوء أعمالهم كانوا يعبدون الأحجار لتقربهم إلى الله زلفى . . إلا أنه كان هناك بقايا من ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام تبحث عن التوحيد الصحيح وهؤلاء سموا بالحنفاء . . .



(١) سورة العنكبوت ٦١ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٤٢١ مكتبة التراث الإسلامى .

(٣) الموافقات فى أصول الشريعة للشاطبى صـ ٣ .

نبذة عن الحنفاء

من هم الحنفاء ؟؟

صنف من الناس كانوا فى حيرة من أمر الدين الصحيح الذى يجب أن يتبعوه وأخيرا اهتدوا إلى أن دين سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الدين الصحيح فكانوا يحكمونه فى حياتهم . . وكانوا يقولون .

[إنا نحتاج فى المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر تكون درجته فى الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية، فيتلقى الوحى بطرف الروحانية ويلقى إلى نوع الإنسان بطرف البشرية][1] .

وذلك قوله تعالى :-

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾[2] .

وقال عز ذكره :-

﴿ قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾[3] .

إن الحنفاء أدركوا بفطرتهم فساد الديانات السائدة وقتئذ فلم يعبدوا الأصنام ولم يشربوا الخمور بل آمنوا بأن لهذا الكون إلها واحدا يقول للشيء كن فيكون هو الله الواحد القهار [من هؤلاء الحنفاء زيد بن عمرو بن نفيل وورقه بن نوفل وأميه بن أبى الصلت وقس بن ساعدة وأبو قيس صرمة بن أبى أنس وخالد بن سنان بن غيث وعمرو بن عبسه السلمى وعامر بن الظرب وأكثم بن صيفى بن رباح وعبد المطلب بن هاشم][4] .

وتوحيدهم لله عز وجل كان ناتجا عن طريق الوحى الصحيح مذ وجد آدم على ظهر هذه الأرض ذلكم لأنه [لا يرتفع الحق إطلاقا من مجتمع الإنسانية، ولا يذهب العدل فيه،

---

(1) موسوعة الملل والنحل للشهرستانى صـ108 .

(2) سورة الكهف 110 .

(3) سورة الإسراء 93 .

(4) المعارف لابن قتيبه صـ 62 (ومسند الإمام أحمد حـ 4 ص 111 ومروج الذهب للمسعودى حـ 1 ص 53 وبلوغ الأدب حـ 1 ص 323 بتصرف) .

ضحية ظلم أو طغيان، مهما كثر أعوان الظلم ومن يمارسون الطغيان ولابد أن تكون هناك مجموعة من الناس وسط هذا الظلم والطغيان تهتدى بالحق وتطبق العدل على الأقل فيما بينها وربما ليس كمجموعة بل كأفراد كل فى دائرة نفسه [(١).

من هؤلاء الذين أقروا لله بالوحدانية ورفضوا الوثنية وأرادوا التوحيد الصحيح ورفضوا عبادة الأصنام هؤلاء النفر الذين حكى بن إسحاق قصتهم قائلا [اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده، ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما، فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم علي بعض قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل - وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل - فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ما حجر نطيف به لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا فإنكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام] (٢).

وهكذا نجد العصر الجاهلى وهو يضم أناسا يبحثون عن الحقيقة فيبقى للحق أنصاره مهما كثرت البدع والخرافات وانتشرت وقد وجد فى العرب [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة] (٣).

وقد استجمعوا عناصر التأهل لاستقبال الرسالة ..

بالإيمان بالله عز وجل

ثم باليوم الآخر ..

والشوق فى الإنتظار لرسول الله ﷺ .

وفى هذا الصدد يقول المرحوم العقاد:

[والمؤرخون يجهدون أقلامهم غاية الجهد فى استقصاء بشائر الرسالة المحمديه يسردون

(١) من توجيه القرآن الكريم الإيمان ا .د/ محمد البهي صـ ١٣٩ سلسلة البحوث الإسلامية سنه ١٤١٦ هـ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام حـ ١ صـ ١٣٨ بتصرف .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى على هامش الفصل لابن حزم حـ٤ صـ١١٧ .

ما أكده الرواه منها وما لم يؤكده وما قبله الثقات منها وما لم يقبلوه، وما أيدته الحوادث أو ناقضته وما وافقته العلوم الحديثة أو عـارضته، ويتفرقون فى الرأى والهدي بين تفسير الإيمان وتفسير العيان وتفسير المعرفه وتفسير الجهالة فهل يستطيعون أن يختلفوا لحظة واحدة فى آثار تلك البشائر التى سبقت الميلاد أو صاحبت الميلاد حين ظهرت الدعوة ثم يقول :-

قالت حوادث الكون لقد كانت الدنيا فى حاجـة إلى رسالة وقالت حقائق التاريخ لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ [(١)].

وكان الحنفـاء هم الذين يؤمنون بالله وكانوا يقضون أكـثر أوقاتهم فى التأمل والتـفكير والتفكير والبحث بعقولهم عن الله تعالى . .

لقد مالوا عن الباطل إلى الحق وهذا هو مفهوم لفظ الحنيف ثم هى دين سيدنا إبراهيم عليه السلام ولقد أمر الله سيدنا محمد ﷺ بقوله تعالى ﴿ اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ .

وهذا قول الله لرسوله ﷺ ﴿ وما كان من المشركين ﴾ إذا ضد الحنيفية الشرك بدليل نزيل الآية الكريمة وباستقراء النصوص آنفه الذكر يتجلى لنا :-

أ- أنه كـانت هناك فئة من الناس رسخ الإيمان فى قـلوبهم فكانوا مـسلمين على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام .

٢- ما بعث نبى إلا بتوحيد الله عز وجل وأحب الأديان إلى الله عز وجل كـما قال الرسول ﷺ فيـما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قـال قيل للرسول ﷺ أى الاديان أحب إلى الله ؟؟ قال [الحنيفية السمحة] .

وفى رواية [بعثت بالحنيفة السمحة] [(٢)].

٣- إن الحالة الدينية التي كان عليها العرب من قبل الدعوة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام كانت تنبىء بظهور نبى يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا .

٤- إن وجود الثلة المؤمنة الموحـده التى تعبد الله وتوحـده شاهد صدق على أن البيـئة التى بعث فيها الرسول ﷺ كانت تتمتع بظاهرة البحث عن عقيدة التوحيد الصحيح .

(١) عبقرية محمد للعقاد صـ ٢٥ دار الكتاب اللبنانى بتصرف .

(٢) راجع فى ذلك مجمع الزوائد للهيثمى حـ ١ صـ ٦٠ والحديث رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط .

أشهر الموحدين من الحنفاء

نشأ فى البيئة العربية . . من يعرف الدين الصحيح ويعبد الله عز وجل على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام التى كان أساسها التوحيد الخالص والحنيفية السمحاء وعدم اتخاذ شركاء لله عز وجل .

هؤلاء استقاموا على الفطرة التى فطرهم الله عليها واحتقروا عبادة الأصنام وعبدوا الواحد الديان من هؤلاء الأعلام الذين خلد التاريخ ذكرهم [زيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبى الصلت] [1] وأضاف المسعودى [قس بن ساعدة الأيادى الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور] [2]. ولم يقتصر الأمر فى هذا الشأن على هؤلاء ولكن غيرهم كثير ذلكم لأن الأرض لا تخلو ممن يوحد الله عز وجل فى كل زمان ومكان وقد سجل التاريخ هؤلاء الأعلام العقلاء الذين وحدوا الله عز وجل بل ودعوا غيرهم إلى توحيده سبحانه وتعالى من هؤلاء .

زيد بن عمرو بن نفيل [3]

لماذا زيد ؟؟

لأن الرسول ﷺ قال فيه لابنه سعيد بن زيد وقد سأل مع عمر بن الخطاب أتستغفر لزيد بن عمرو بن نفيل؟؟ فقال النبى ﷺ [نعم فإنه يبعث أمة وحدة] [4] يبعث أمة وحده لأنه كان يمثل عقيدة التوحيد الصحيحة وقتئذ فلم يدخل فى عبادة الأصنام ولم يدخل فى اليهودية أو النصرانية بل قال أعبد رب إبراهيم عليه السلام، لقد كان زيد [يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيفى وينتظر المقدم النبوى، وكان يسند ظهره إلى الكعبة ويقول أيها الناس هلموا إلى فإنه لم يبق على دين إبراهيم غيرى] [5] هذا هو نداء

(1) الملل والنحل للشهرستانى حـ2 صـ 250 بتصرف .

(2) مروج الذهب للمسعودى حـ1 ، 2 صـ39 دار الكتاب اللبنانى بتصرف .

(3) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله . . بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع عن أكل ذبائحهم نقلا عن كتاب الأغانى للأصفهانى حـ3 صـ 122 .

(4) السيرة لابن كثير حـ1 صـ162 .

(5) الملل والنحل للشهرستانى حـ4 صـ117 على هامش الفصل لابن حزم مكتبة السلام العالمية .

الرجل فى قريش.. إنها صيحة مدوية فى آذان المشركين لقد جهر بالحق عند هؤلاء الجهلاء.. فإذا به يوجههم إلى طلب المعرفة الحقيقة نحو الألوهية .. وهو بذلك يحرك غريزتهم نحو التدين الصحيح كى ينبذوا عبادة الأصنام ويعتنقوا عبادة الرحمن جل جلاله.. لقد كان رضى الله عنه أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع عن أكل ذبائحهم وأنه كان يعيب عليها قائلا [الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الارض ثم تذبحونها على غير اسم الله] (١).

لقد أوضح المبهم وأثبت لنفسه شخصية فذة فى وسط هذا الضلال المبين ثم إنه وجه القوم إلى ما يصلحهم ذاكراً لهم عيوبهم منكرا عليهم ذبائحهم التى يذبحونها لغير الله مخلصا لهم .. ومع ذلك لم يجد نفسه إلا فى بيداء مظلمه .. فاستغاث بربه بارئا مما هم فيه .. موحدا لله عز وجل قائلا رضى الله عنه.

أربا واحـــدا أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربى ... ليغفر ذنبى الرب الغفور (٢)

وكان يستقبل الكعبة رضى الله عنه ويقول [لبيك حقاحقا تعبدا ورقا](٣)

إن زيدا واحد من المفكرين القلائل الذين سخطوا ما عليه الجاهلية من نكر، وإنه ليشكر على تحريه الحق، ولا يغمط هو ولا غيره أقدارهم بين قومهم، لكن القدر كان يتخير رجلا يبصر الحق، ويملك من الطاقة ما يدفعه به إلى آفاق العالمين فى وجه مقاومة تسترخص النفس والنفيس للإبقاء على الضلال والإمساك بليله البارد الثقيل] (٤).

---

(١) صحيح البخارى بشرح السندى جـ٢ صـ ٣١٧ عن بن عباس رضى الله عنهما ط الحلبى .

(٢) السيرة لابن هشام جـ١ صـ ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق والصفحة .

(٤) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى صـ ٨٩ مطبعة حسان .

لقد نظر باستهزاء رضى الله عنه إلى الأوثان التى يعبدها العرب من دون الله وكان يعرف التوحيد الخالص رضى الله عنه ويقول فى تلبيته لله [لبيك لا شريك لك، ولا ندلك، ثم يدفع من عرفه ماشيا وهو يقول لبيك متعبدا مرقوقا] (١).

قال الحافظ بن حجر : مات قبل البعثة وترحم عليه النبى ﷺ قائلا [غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم عليه السلام] (٢) كل ذلك نتيجة إيمانه وعقيدته الصحيحه . فقد كان نورا على طريق السالكين رضى الله عنه . .



---

(١) السيرة لابن كثير حـ صـ ١٥٩ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ ٧ صـ ١٤٣ لابن حجر العسقلانى الطبعة السلفية .

ورقة بن نوفل [1]

إن ورقة أحد الرجال الذين اعتزلوا عبادة الأوثان وبحثوا عن عبادة الرحمن . . . وهو أحد الرجال الذين استنارت بصائرهم فهتفوا من الأعماق بأن القوم على ضلال وفى ضلال مبين لقد اعتقد ببطلان عبادة الأصنام فاعتزلها وخالف قريشا فى عبادتهم لها . . . وأخذ يبحث عن التوحيد الصحيح وكان قد { خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين فأما ورقه فأعجبه دين النصرانية فتنصر وكان لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل ولهذا أخبر بشأن النبى ﷺ والبشارة به ﷺ } [2] إنه أحد الذين اعتزلوا عبادة الأصنام وأخذ يسعى جاهدا لراحة فطرته باحثا عن التوحيد الصحيح فلقد طلب الدين { وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان وطلب ورقة الدين ولم يكتف فى طلبه باللغة العربية فتعلم العبرانية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب } [3] الا ما أعظم هذا الإهتمام من ورقه فى بحثه عن الدين الصحيح . . فأخذ يتعلم العبرية . . وهى لغة الإنجيل . . الذى يبشر بسيدنا محمد ﷺ فهو لا يستطيع قراءة الإنجيل إلا بعد تعلمها فكان مثالاً يحتذى فى البحث عن التوحيد الصحيح علميا وعمليا نظريا وميدانيا لقد كان شاعرا ناضج التفكير فى شعره مثال ذلك قوله :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلها غير خالقكم ... فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذى العرش سبحانا ... نعوذ به وقبل قد سبح الجودى والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له ... لا ينبغى أن ينادى ملكه أحد
لا شىء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ دان السفور له ... والجن والإنس تجرى بينها البرد

---

(١) هو ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو بن عم خديجة رضى الله عنها بنت خويلد زوج النبى ﷺ وكان رغب عن عبادة الأوثان فتنصر وذكرت له خديجة شيئا من أمر النبى ﷺ فقال إنه يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى – نقلا عن المعارف لابن قتيبة صـ ٥٩ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ١ صـ ٢٥ لابن حجر العسقلانى .

(٣) الاغانى للأصفهانى حـ٣ صـ ١١٢ بتصرف .

ويروى أن رسول الله ﷺ سئل عنه فقال « قد رأيته فى المنام كأن عليه ثيابا بيضا بياضا فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض »(١) وكان ورقة شيخا كبيرا على علم بالإنجيل ولذلك كان محل ثقة السيدة خديجة رضى الله عنها فأخبرته بالذى رأى ﷺ فهو اختيارا صادف أهله لأمور منها.

[أولها : كون ورقة ابن عم خديجة رضى الله عنها.. فيعلم من ذلك إخلاصه فى النصح، لمكان قرابته منها .

ثانيها : قولها وكان امرءا قد تنصر فى الجاهلية تعنى أنه كان على دين سماوى حين كان عامة الناس فى ضلالة وجهالة، فيؤخذ من ذلك خبرته وصحة رأيه فيما يتصل بالدين.

ثالثها: قولها وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وفى روايه مسلم يكتب الكتاب العربى فكتب من الانجيل بالعربية وكلتا الروايتين صحيح فقد كان عالما بهما ثم المعروف أن الإنجيل أنزل بالسريانيه وأن التوراه بالعبرانيه فإن كانت نسخة الانجيل فى عصرهم سريانيه كان عالما بالسريانية أيضا وبالجملة فقد أرادت من هذا الوصف أنه جمع إلى التدين منقبة العلم والإطلاع على الكتب السماوية والقدرة على فهمها ونقلها لغير لغتها بتوسع كما يفهم من قولها إلى الحد الذى يشاء الله فهو إذا من أهل الذكر الذين يسألون عن هذا الشأن.

رابعها: قولها وكان شيخا كبيرا قد عمى أى أنه كان رجلا مسنا بلغ من كبر سنه أن أصيب فى بصره فيكون إذا من أهل التجارب المحنكين](٢) لقد كان ورقة يحفظ الإنجيل .. الذى بشر برسول الله ﷺ كتب الله له أن يتلقى بشارة سيدنا محمد ﷺ عند ما ذهبت إليه السيدة خديجة رضى الله عنها .. تقص عليه ما حدث لرسول الله ﷺ فى بدء الوحى.. حقا إنه أحد الرجال الذين استنارت بصائرهم وبصيرتهم فتفطنوا إلى سوء حالة العرب الدينية .. فحاول أن يرتقى بقومه من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان سبحانه وتعالى ..

لقد قال ليتنى أكون حيا .. وهو بذلك يسجل أمله أن لو كان حيا عندئذ ليقف إلى جانبه .. وينصره نصرا مؤزرا كان ورقة عالما .. حكيما شاعرا .. بليغا .. جمع فأوعى.. وهكذا ينبغى أن يكون الرجال ..

---

(١) نقلا عن التفكير الفلسفى للمرحوم د/ عبد الحليم محمود صـ ٢٧ .

(٢) المختار من كنوز السنة أ. د/محمد عبد الله دراز صـ ٣١ .دار الأنصار ط ٢ سنه ١٩٧٨ م .

قُسُّ بن ساعدة الأيادى [1]

كان ممن الذين فطنوا إلى سوء حالة العرب الدينية فحاول الارتقاء من الوثنية إلى التوحيد الصحيح فلقد [كان يعتقد التوحيد ويؤمن بيوم الحساب] [2] وأضاف المسعودى [كان موقنا بآيات الله عز وجل] [3] إلى الحد الذى استحق به أن يدعى حكيم العرب [وذكر رسول الله ﷺ أنه رآه يخطب بعكاظ على جمل أحمر واقتفى أبو بكر قصته وأنشد شعره] [4] إذا هو عربى شاعر لديه إحساس الشاعر والفطرة الصافية التى اخترق بها حجب الجاهليه يساعده على ذلك ذكاء وقاد . . .

وقفته ضد الوثنية

ومن مجموع ما تقدم كانت له وقفه ضد الأصنام اعتصاما بالواحد الديان وفى النموذج التالى ما يشير إلى ذلك فلقد نصح الناس فى سوق عكاظ بخطبة جاء فيها على اختلاف الروايات [يا أيها الناس اسمعوا وعوا . . وإذا وعيتم فانتفعوا إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات، وأحياء وأموات جميع وأشتات، وآيات بعد آيات، إن فى السماء لخبرا، وإن فى الأرض لعبرا ليل داج، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا، أقسم قس قسما لا حنثا فيه ولا آثما إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه، وأظلكم أوانه وأدرككم إبانه فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه إلى أن قال :-

---

(1) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك من بنى إياد أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية، كان أسقف نجران ويقال إنه أول عربى خطب متوكئا على سيف أو عصا وأول من قال فى كلامه أما بعد وكان يفد على قيصر الروم زائرا فيكرمه ويعظمه وهو معدود فى المعمرين طالت حياته وأدركه النبى ﷺ قبل النبوة ورآه فى عكاظ وسئل عنه بعد ذلك فقال يحشر أمة وحده .

انظر فى ذلك البيان والتبين للجاحظ ١/ ٢٧ عيون الأثر حـ١ وانظر الأعلام للزركلى حـ٣ صـ ١٠٥ .

(2) الملل والنحل للشهرستانى حـ٢ صـ ٢٥١ .

(3) مروج الذهب للمسعودى حـ١ صـ٥٥ .

(4) المعارف لابن قتيبه صـ ٦١ .

فـــى الـــذاهـــبـــين الأولـــين ... مـن القـــرون لـنـا بصـــائـر
لـــا رأيت مـــــــــــــواردا ... للمـــوت ليس لـهـــا مـــصـــادر
ورأيت قـــومـى نـحـــوهـا ... يمضـى الأصـــاغـــر والأكـــابر
لا يـــرجـــع المـــاضـــى إلـــى ... ولا مـن البـــاقـين غـــابر
أيـقـنت أنـى لا مـــحـــالـة ... حـــيث صـــار القـــوم صـــائر (١)

هذا هو قس بن ساعدة:

١- يهيب بالناس أن يصيخوا السمع إلى صوت الفطرة فيهم يناديهم بالتوحيد .

٢- وكان يدعم دعوته بأدلة تلزم الناس التقوى.

٣- إلى جـانب أنه يستلفت الأنظار إلى مـا فى الطبيعـه من آيات بينات تدعـو إلى التوحيد كقاعدة تنطلق منها الأنه إلى ما تريد من كمال .

٤- ثم يأخذ بيد الإنسان إلى صراط اللـه المستقيم يقول الشهرستانى لقـد كان { يعتقد التوحـيد ويؤمن بيوم الحسـاب ولقد قال فى مواعظه كـلا ورب الكعبة ليعـودن ما باد ولئن ذهب ليعودن يوما }(٢) لم يكن مؤمنا قابعا يعيش لنفســه فـقط بل أخذ ينصح قومه فيبشرهم وينذرهم ويوجه نظرهم إلى قدرة الله عز وجل فى الأنفس والآفاق .

وقرر لهم أن أمر الإعادة أمر واقع لا محالة بدليل من يذهب ولم يرجع . .

حقا إنه رجل عرف الحق فاتبعه ولم يصمت بل أخذ يدع إليه بتوجيه مخلص أمين. . فليكن لنا ذلك درس نصلح به نفوسنا حتى نستطيع السير على طريق السـالكين إلى الحق. .

(١) انظر السيرة الحلبيه جـ ١ صـ ١٨٨ ومروج الذهب للمسعودى جـ ١ صـ ٦٩ السيرة لابن كثير جـ ١ صـ ١٤١.

(٢) الملل والنحل للشهرستانى جـ ٢ صـ ٢٠٥ .

أكثم بن صيفى (1)

لم يكن زيد بن عمرو ولا قس بن ساعدة ولا ورقه بن نوفل على التوحيد وحدهم بل كانت هناك مدرسة تؤكد الفطرة الصافية التى فطر الله الناس عليها ألا وهى فطرة الدين الصحيح والعقيدة السليمة . . السديدة . . وها نحن أمام أكثم بن صيفى أحد الحنفاء الذين قالوا معترفين بما يدور فى نفوسهم [بل هو الله إله واحد، ليس بمولود ولا والد أعاد وأبدى وإليه المآب غدا] (2).

ليوقظ أكثم بهذا الشعور الفطرى . . أفئدة الغافلين الكافرين المنكرين . . إلى طريق الله رب العالمين . . إلى التوحيد الصحيح .

حقا إن العرب كانت تعترف بوجود الله ولكنهم كانوا يختلفون فى وحدانيته ويعترفون بأنه الخالق سبحانه وتعالى ولكن للأسف لا يرتبون على هذه المقدمات نتائجها فلم يعترفوا بإفراده بالعبادة إلا القليل النادر منهم كأكثم الذى قال[إن الذى يدعو إليه محمدا لو لم يكن دينا لكان فى أخلاق الناس حسنا، أطيعونى واتبعوا أمرى، أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدا، وأصبحتم أعز حى فى العرب وأكثرهم عددا وأوسعهم، دارا فإن أمرا لا يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عز إن الأول لم يدع للآخر شيئا وهذا أمر له ما بعده ومن سبق إليه غمر المعالى، واقتدى به التالى، والعزيمة حزم والإختلاف عجز، فقال مالك ابن نويرة قد خرف شيخكم فقال أكثم ويل للشجى من الخلى ولهفى على أمر لم أشهده ولم

---

(1) أكثم بن صيفى بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمى حكيم العرب فى الجاهلية، وأحد المعمرين عاش زمنا طويلا، وأدرك الإسلام وقصد المدينة فى مائة من قومه، يريدون بالإسلام فمات فى الطريق ولم ير النبى ﷺ وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه وهو المعنى بالآية الكريمة « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » ١٠٠ سورة النساء أخباره كثيرة ولعبد العزيز بن يحيى الجلودى، كتاب أخبار أكثم من كلامه : من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء، من لم يعتبر فقد خسر الزاح يورث الضغائن، من سلك الجدد أمن العثار من مأمنه يؤتى الحذر، ويل للشجى من الخلى .

انظر فى ذلك الإصابة لابن حجر جـ ١ - صـ ١١٣ .

الأعلام للزركلى جـ ١ صـ ٢٩٦ .

(2) انظر بلوغ الإرب جـ ١ صـ ٣٠٩ .

يسبقنى[1] .

حجر الزاوية فى حياة أكثم :

لم يتشبث بالدنيا . . لأن فهمه المستنير حرره من قبضتها لكنه كان مشغولا قلبا وقالبا جسدا وروحا . . بأمر التوحيد الصحيح ولقد كان أحد الحكماء الذين عرفوا الله عز وجل باستخدام قانون الأثر يدل على المؤثر . . كالرجل الأعرابى من قبله الذى سار فى الصحراء فقال سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير .

وإنك لتدرك كيف كان الجو خانقا بما تنفحه الوثنية من ضلالات . . كيف كانت هذه الأصوات الموحدة دليلا على أن الحق لا يموت ، ، وإذن فلنستمسك به مهما كان الضلال متحديا . . والعاقبة فى النهاية للتقوى .



(1) انظر فى ذلك الوفا بأحوال المصطفى جـ ١ صـ ١٩٢ .

أمية بن أبى الصلت *

احتل أمية مكانة مرموقة فى الشعر العربى حتى قيل إنه أشعر الناس وتتلذ .. إذا فهو لديه فطرة صافية .. اخترق بها حجب الجاهلية .. وقلب يقظ يذكره بالإيمان .. والبحث .. ومن مجموع ذلك كانت له هذه الأبيات من الشعر .. التى تنير الطريق للسالكين ، وهى كما جاءت فى السيرة لابن هشام :

ألا أيها الإنسان إياك والردى	فإنك لا تخفى من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره	فإن سبيل الرشد أصبح باديا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى	أدين إلاها غيرك الله ثانيا
وأنت الذى من فضل من ورحمة	بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهارون فادعوا	إلى الله فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له آأنت سويت هذه	بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له آأنت رفعت هذه	بلا عمد أرفق إذا بك بانيا
وقولا له آأنت سويت وسطها	منيرا إذا ما جنه الليل هاديا

* جاء فى الإعلام للزركلى أمية بن عبد الله أبى الصلت بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى ، شاعر جاهلى حكيم من أهل الطائف قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعا على الكتب القديمة يلبس المسوح تعبدا ، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية ، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر فى أثنائها الإسلام ، وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له يزعم أنه نبى فخرج حتى قدم عليه مكة وسمع منه آيات من القرآن الكريم ، وانصرف عنه ، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه فقال أشهد أنه على الحق قالوا فهل تتبعه ؟؟ فقال حتى أنظر فى أمره وخرج إلى الشام وهاجر رسول الله إلى المدينة وحدثت وقعة بدر وعاد أمية من الشام يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له فامتنع وأقام فى الطائف إلى أن مات أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب وهو أول من جعل فى أول الكتب باسمك اللهم فكتبها قريش ، قال الأصمعى ذهب أمية فى شعره بعامة ذكر الآخرة ، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب وذهب عمر بن أبى ربيعة بعامة ذكر الشباب نقلا عن الإعلام للزركلى جـ٢ ص ٢٣ دار العلم للملايين .

وقولا له من يرسل الشمس غدوة ... فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب فى الثرى ... فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه فى رءوسه ... وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا ... وقد بات فى أضعاف حوت لياليا
وإنى لو سبحت باسمك ربنا ... لأكثر إلا ما غفرت خطائيا (1)

أمية والنظرة المستقبلية :

كلما قرأت هذا الشعر أحسست بأنه يخاطب الدنيا كلها وأنه يقول لهم جميعا وحدوا الواحد . . اعبدوا الله رب العالمين . . .

إن من أبرز الملامح فى شخصية أمية بن أبى الصلت أنه دقيق الفهم واسع الإدراك . . فيه وميض من نور . . لقد كان يقول [إنى لأجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا فكنت أظن أنى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى أنه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد منهم من هو متصف بأخلاقه إلا عتبه بن ربيعة إلا أنه قد جاوز الأربعين ولم يوح إليه فعرفت أنه غيره] (2).

هكذا يشهد أميه بأن الأرض ملئت جورا ولا بد من نبى يصحح أوضاع الحياة الدنيا . . ويضع القاعدة العريضة من لدن عليم خبير محيط . . للبشريه كلها .

حقا لقد هاله الكفر . . الذى طمس القلوب والأعين فكان على العقلاء أن يبحثوا عن الدين الحق وهذا الدين لا يأتى إلا على يد نبى هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ .



---

(1) السيرة لابن هشام حـ ١ صـ ١٤١ .
وانظر تفسير بن كثير عند قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى .
(2) السيرة الحلبية حـ ١ صـ ١٧٨ ط الحلبى

أبو قيس صرمة بن أبى أنس [1]

أحد الرجال الذين امتن الله عليهم بنعمة الإسلام .. فأخرجهم من الظلمات إلى النور .. من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان كان أبو قيس من الحنفاء الذين عبدوا الله عز وجل على ملة إبراهيم حنيفاً .. ولم يك من المشركين ..

حقـا إنه فى نور التوحـيد سـار على الدرب رجال عـرفوا الطريق إلى اللـه عز وجل فسلكوه

[لقد ترهب أبو قيس ولبس المسوح وفارق الأوثان، وهـم بالنصرانية ثم أمسك عنها، ودخل بيتا له فاتخـذه مسجدا لا يدخل عليه طامث ولا جنب وقال أعـبد رب إبراهيم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه] [2] إنه رضى الله عنه أحد الحنفاء الذين عبدوا الله على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام وصدق الله إذ يقول :

﴿ مـا كـان إبراهيم يهوديا ولا نصرانـيـا ولكن كـان حنيـفـا مـسلمـا ومـا كـان من المشركين﴾ [3].

وهو القائل فى رسول الله ﷺ :

ثوى فى قـريش بضع عـشـرة حـجـة ... بمكـة لا يلقى صـديـقـا مـواتيـا

فلمـا أتانـا واطمـأنت بـه الـنوى ... وأصـبح مـسـرورا بطيـبـة راضـيـا

يقص لـنا مـا قـال نوح لقـومـه ... ومـا قـال مـوسـى إذ أجاب المناديا

---

(١) أبو قيس بن أبى أنس قـال بن إسحاق: كـان أبو قيس صرمـة ترهب فى الجاهلية واغـتسل من الجنابة وهم بالنصرانية ثم أمسك فلما قدم الرسول ﷺ المدينة أسلم وكان قوالا بالحق وله شعر حسن وكان لا يدخل بيتا فيه جنب ولا حائض وكان معظما فى قومه إلى أن أدرك الإسلام شيخا كبيرا .

انظر فى ذلك الإصابه لابن حجر العسقلانى حـ٢ صـ ١٧٦ .

(٢) ارجع فى ذلك إلى المعارف لابن قتية صـ ٥٩، ٦٠ ومروج الذهب للمسعودى حـ ١ صـ ٧٤ الإصابه لابن حجر حـ ٢ صـ ١٧٦ بتصرف .

(٣) سورة آل عمران ٦٧ .

وهو القائل فى الجاهلية :

سبحوا الله شرق كل صباح	طلعت شمسه وكل هلال
يا بنى الأرحام لا تقطعوها	وصلوها قصيرة من طوال
يا بنى النجوم لا تظلموها	إن ظلم النجوم ذو عقال (١)

ها هو أبو قيس داع إلى الله عز وجل يحمل عقلا راجحا وقلبا مستنيرا .. لقد عرف ربه فوحده .. وأخذ يدع إليه بفطرته التى ترفض الظلم .. وتحب العدل .. فهو طاهر السيرة ذكى الفؤاد .. لم يكن به زيغ الجهلاء ولا طمع الأغنياء ولا تقليد الآباء والأجداد فى الموروثات العصبية بل تحرر من كل هذا حين وحد الله عز وجل واتبع طريقه سبحانه وتعالى فليكن فى ذلك عبرة وتبصرة .



(١) راجع فى ذلك المرجع السابق المعارف لابن قتيبة صـ ١٦٢ ، والسيرة لابن هشام جـ ٢ صـ ٣٢٤ .